



سنفترض في هذه السطور جدلاً أن المؤامرة الرهيبة على الشعب السوري قد مرت بالفعل، وتمكن النظام من استعادة المناطق التي فقدتها في طول البلاد وعرضها (يسطر حالياً على ربع المساحة)، فهل يعني ذلك أن سوريا ستعود إلى الوراء **كدولة متماسكة في ظل حكم آل الأسد وطائفته؟**

لن يكون الأمر كذلك بحال من الأحوال، فما ترسخ من مارات خال الأعوام الخمسة الماضية لن يسمح بذلك، والجسم العسكري لن يعني في الواقع الحال سوى إدخال البلد في دوامة حرب أهلية أكثر سوءاً من الوضع الراهن.

تذكروا هنا جملة من الحقائق، أولها أن الطائفة العلوية التي تلف من حول النظام لا تتعدي 10% من السكان، وأنها فقدت أكثر من ثلث رجالها القادرين على حمل السلاح، وتذكروا ثانياً أن الغالبية التي استهدفتها القمع قد فقدت أيضاً ما يزيد عن 300 ألف قتيل (الرقم الإجمالي في حدود 470 ألف قتيل حسب آخر الإحصاءات)، وإلى جانب هؤلاء هناك حشد من المعوقين، ومئات الآلاف من ذاقوا مارات السجون، ومليين المهجرين المعادين للنظام، ومن سيعملون ضده بما تيسر، ولو بالكلام (هل يتحمل نظام ملايين المعارضين في الخارج؟)، والخلاصة أن الجزء الأكبر من الأسر السورية قد أصابه مارات الحرب.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل بعد كل هذا الموت والتدمير يمكن للغالبية في سوريا أن تعود إلى حكم آل الأسد. الجواب ببساطة هو «لا»، وللتذكير أيضاً فإنه لا يوجد بلد في العالم تحكمه أقلية بهذا الحجم، والبحرين التي يخرج علينا القوم بذكرها كلما جرى الحديث عن أقلية وأغلبية لا تتفوق نسبة الشيعة فيه على السنة بأكثر من 10% في أحسن الأحوال، ومع ذلك تتواصل الاحتجاجات.

لا تسأل بعد ذلك عن الأسئلة المتعلقة بالتدمير والإعمار، فمن هو الذي سيساهم في إعمار البلد إذا ما فاز الحلف الإيراني الروسي في المواجهة؟

نقول ذلك كله كي نذكر إيران وحلفاءها بالجريمة التي ارتكبواها بحق الشعب السوري، وبحق أنفسهم، وبحق الأمة حين صنعوا هذا الحشد الطائفي الرهيب في أوساطها، فهل كان الأمر يستحق كل ذلك؟!

الخلاصة أن سوريا لن تعود إلى ما كانت عليه، والإصرار على ذلك لن يعني غير مزيد من الموت ومن القتل، والغالبية لم يعد يعنيها أن يتواصل القتل، فهي تمردت ودفعت الثمن الأكبر، والمزيد من التمرد بأشكال مختلفة لن يغير الكثير. نقول ذلك ونحن موقنون بأن الجسم العسكري أشبه بالمستحيل، إن لم يكن مستحيلاً بالفعل، فمن دون أن تكون هناك تسوية تقبل بها غالبية، فلن يكون هناك أمن ولا استقرار، وهذا المشرق برمته (ليس سوريا فقط)، لا يمكن أن يستقر والغالبية فيه تشعر بالظلم والقهر، وإذا كانت هذه القناعة قد رسخت العراق والعرب السنة ليسوا غالبية، ما دفع إلى إبعاد المالكي بتراثه الطائفي الإقصائي، فهل سيختلف الأمر في سوريا حين الأقلية الحاكمة لا تتعدي 10% من السكان (في اليمن يبدو طريق الحوثيين مسدوداً أيضاً)؟!

كل ذلك يؤكّد أن مشروع إيران يمضي إلى طريق مسدود، وأن أحلامها موغلة في العبثية، والسبب أنها تريد التمرد على حقائق التاريخ والجغرافيا والديمغرافيا، وسيدرك قادتها ذلك عاجلاً أم آجلاً.

العرب القطبية

المصادر: